الجمال المصنوع ... ليس من الادب !

بقلم : ر. م. البيرسيس

يأخذ بعض الناس على الأدب المعاصر انه «لا يبالي بالجمال» فيدور إذ ذاك في الاذهان ان هذا الجمال «سيدة» صورهـا أكاديميو اواخر القرن الماضي تصويراً واسعاً ، في حين نسي شعراء اليوم أن يغازلوها . والحق ان الناس لا يهملون الا ما هو موجود . والجمال ليس موجوداً في شكل نموذج او وصفة او قانون . انه يُخلق وينبغي ان يُخلق دائماً من جديد ودون ما انقطاع . واذا لم يكن في آدابنا جمـال ، فليس ذلك لأن معاصرينا يرفضون ان يضعوا فيها الجمال ، كما يرفض طباخ ان يضع في مرقه بهاراً ، وانما لان ما يكتبون لا يبلغ ان ينصبّ في شكل ، ان يتخذ شكلاً واضحاً ونهائياً . ذلك ان الجمال ليس اسلوباً خاصاً بحيث انه لو أُهمل ، لا يكون الأثر جميلاً ، وانما الجمال هو نجاح اسلوب ، اي اسلوب .

والمصيبة ان الاساليب تتغير مع العهود ، وان الاساليب الناجحة السابقة لا تشكل الا جمالات سابقة . فوضع جمـال معين ومعترف به في آثارنا الحالية يعني اجمالاً اعطاءها اسلوباً ليس هو اسلوبنا ، بالرغم من انه الآن اجمل من اسلوبنـا ، ويعني آخر الامر الوقوع في التقليد . ولا ريب ان هناك ألواناً ناجحة من التقليد . وهـذا ما نراه مثلاً في «حفلة الكونت دورجيل الراقصة» لراديغيه او في «مذكرات هادريان» لمدام يورسونار . ولا ريب في اننا إذا كنا لا نجيد الكتابة ، بينما كانت مدام دولافاييت تجيدها ، فان لذلك التقليد اهميته ، بل فائدته . ولكن اذا كان تصنُّع الاساليب القديمة قد أدى خدمات جليلة في عهود تجـديد الاساليب ، فهو لم يُقدم ابداً حلهـا المطلوب .

والخطر الكبير في ألا يجد الناس قدراً كافياً من الجمال في الادب المعاصر هو ان يخرجوا من ذلك آلياً الى تعريف الجمال المثالي وفقاً لنماذج الماضي ، والى الاعتقاد بان بالامكان وضع الجمال ، في ما يكتبه الادباء فهذا يعني اضافة زينات تقليدية . وذلك هو في الحق خطأ العهد المسمى بالعهد الاكاديمي الذي كان يطبق قوالب لا نفع فيها على آثار مكتملة لا حاجة لها بهـا . تلك هي بديعيات اسلوب الخطب والنعوت الانشائية والمرادفات الزائدة . ان السعي الى الجمـال والتجميل يقود الى التوافـه والمبتذلات . وقد وقعت في هـذا الخطر كثير من العهود السابقة ، بواسطة «الكلمة النبيلة» التي كان يسعى اليها كبار كتابنا السابقين و «الخطاب البديعي» الذي اعتاده اللاتين .

وقد حدث ان أثَرْتُ استغراب بعض الناس حين قلت لهم ان الجمال لايوجد في الفن ، ولا في الفن الادبي ، وانـه لا يوجد الا الاسلوب الناجح . تلك هي القضية القديمة المتخلفة من العصور . هل هناك قانون للجمال ؟ انـني معجب دون ريب بالقوانين اليونانية في عصر النهضة ، ولكننا نعلم انها قد فقدت تفوقها ، وليس هناك من يفكر بعد في ان يكون فننا خلاصة روح النهضة . وهذا خطأ قد كلف شهرة النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثمناً باهظاً .

*

منذ ان قام رد فعل القرن العشرين الذي اصبح فيه الفن حاجة اولية ، وكف الأدب عن ان يكون موضوع تسلية او سحر ليشكل من جديد ضرورة ، وليتحمل قلق العصر ومصيره ، انقطع الحديث عن الجمال . فلا مالرو ولا بيكاسو ولا روولت ولا كامو يهتمون بالجمال ، ذلك انهم لا يعتبرون فنهم وتفكيرهم زينة تستهدف التبريز والتصـدر ، كالكواكب في مباريات الجمال . وهذا يدل على ان الادب والفن اذ يؤديان دورهمـا الكامل لا يهدفان الى الجمال ، وانما هما يهدفان اليه اذ يُقذفان الى هامش الحياة ، الى مضمار عقيم ، باسم «الجمالية» او «البديعية» او «الفن للفن» .

على ان ذلك لا ينفي اطلاقاً ان تكون الآثار التي لم تُصنع باسم «الفن الصافي» جميلة ، انها ليست الجمال ، لان ما هو الجمال هو النسخة النظرية لشيء له معنى ، وله خصوصاً «معناه» . ان

الجمال بناء صناعي ، والآثار الجميلة هي التي اكتسبت معناها اكتساباً كلياً ، اياً ما كان هذا المعنى . فحتى « اتينا » فيدياس كانت « اتينا » ولم تكن الجمال ، وكذلك « فينوس » ميلو ، كانت فينوس هي نفسها ، لا الجمال . و « ملاك » ريمس هو ملاك ، و « تفاح » ماتيس هو تفاح ، وليس الجمال .

انني اقرّ ان الجمال هو القاسم المشترك لهذه الآثار الأخيرة؛ ولكن الجمال هنا هو نجاح فينوس ونجاح الملائكة ، ونجاح التفّاح. ولست ارى بين هذه الوقائع الثلاث شيئاً مشتركاً الا عنصر النجاح، اذ تكون فينوس هي فينوس، والملاك ملاكاً، والتفاح تفاحاً ، كلٌ في معناه على اقصى امتداده .

وإذن، فاننا لن نجد الجمال في الادب اذا اردنا ان نضعه فيه . فما دام غير موجود ، فمن اين يؤخذ ؟ وانما سنجده كلما نجح الكاتب لا في بلوغ غايتـــه فحسب ، وانما في التعبير عن غايات معاصريه وقضاياهم . إذ ذاك لن يبدو اسلوبه غير دقيق، ولا غير معتنى به ، وانما ستنقاد عبارته للحقيقة وملكيةُ جمله للواقع. ومهما كان اشخاصه متبرمين بالحياة واشقياء، فسيكونون « جميلين » اذا كانوا مَنْ هم حقاً ، اي نحن انفسنا في ذلـــك الامتداد الذي لن ندركه، من السعادة والشقاء والطيبة والاجرام.

فمن العبث إذن حثّ كتّابنا على ان يجمّلوا لوحاتهم التي يرسمونها عن عصرنا . فانهم بمثل هذا القصد مشوّهوها دون شك. فعقدة رقبة جميلة لن تجعل قاتلاً ما اجمل مما هو في حقيقته ولا القسّم الكاذب بلغة جميلة . ولن يكون عصرنا اجمل اذا كان ابطال الرواية ذوي نوايا طيبة ، ولا اذا صوّرت الكتب بسمةَ الاطفال الجذابة . . . وانما سيكون أجمل اذا اكتسب القاتل والقسّمُ الكاذب والشاب التقيّ والبطلة المؤثرة امتدادهم الحياتي كلّه .

لئن لم يكن الجمال قائماً على عناصر مصنوعة مسبّقاً، ولئن لم يكن الا النتيجة الطبيعية لأزمة دقّة وتجويد يمارسها الكاتب على اي عنصر من العناصر، فان القيمة الجمالية هي دائماً إزهارٌ غير منتظر، ولا شيء يسمح في عصرنا بان نيأس من مثل هذا الازهار بل ان انتفاء اي تعلّق مصطنع او اكاديمي بهـــذه القيمة او تلك يترك اوسع المجال لهذه التلقائية التي تقدر وحدها ان تطلب الكمال والتجويد الحقيقيين . صحيح ان « ازمة الجمال » لم تأت بعد ، ولكن عدم الاكتراث واللامبالاة اللذين يظهران اليوم هما في صالح انبثاق هذه الازمة ، خلافاً للرأي السائد .

مسابقة « الآداب » للقصة

كانت « الآداب » قد اعلنت في اعداد سابقه عن اقامة مسابقة للقصة يحق لجميع ادباء البلاد العربية ان يشتركوا فيها، وقد كان مقرراً ان ينتهي اجل قبول القصص في اول هذا الشهر آب (اغسطس) من العام الحالي .

ولكن ظهر لهيئة التحرير ان عـدد القصص التي وردت المجلة حتى الآن اقل بكثير مما كان منتظراً ، ولذلك رأت «الآداب» ان تمدد اجل المسابقة حتى آخر تشرين الاول من العام الحالي ، على ان تنشر القصص الفائزة في العـدد الثالث عشر وهو العدد الضخم الذي ستصدره « الآداب » خاصاً بالقصة في مطلع العام القادم (كانون الثاني ١٩٥٤) .

وعلى ذلك تمدد «الآداب» أجل مسابقة القصـة حتى آخر تشرين الاول القادم بالشروط نفسها وهي :

١ – ان تكون القصة موضوعة غير مترجمـــة ولا مقتبسة ولا منشورة .

٢ – ان تعالج موضوعاً يهم الجماعات العربية او الفرد العربي .

٣ – ان تكتب كلها باللغة العربية الفصحى .

٤ – ألا تتجاوز ثماني صفحات من «الآداب» .

اما الجوائز فثلاث :

الاولى : ٣٠٠ ليرة لبنانية او ما يعادلها
الثانية : ١٥٠ » » » »
الثالثة : ٥٠ » » » »

وستتألف لجنة محكمة تعلن اسماء اعضائها فيما بعد .